# الباب الثاني

# السيرة عالية ممدوح

## أ. السيرة عالية ممدوح

ولدت الكاتبة العراقية علياء ممدوح عام ١٩٤٤ في بغداد وأتمت دراستها الابتدائية والثانوية في بغداد. سافر بين العاص مة والمدن بين بيروت والمغرب وبرايتون وكارديف ومونتريال ، واستقر مؤقتًا في فرنسا في باريس. أكمل شهادة علم النفس في الجامعة المستنصرية. يعمل كصحفي وكاتب. كتب مقالة أسبوعية في جريدة بالرياض عام ١٩٨١. [١]

عملت علياء ممدوح رئيسة تحرير مجلة الراصد ورئيسة تحرير مجلة الفكر المعيسر. قرر ممدوح أخيرًا الانتقال والعيش في باريس ابتداءً من عام ١٩٨٢.[٢] تمكنت علياء من تبوء منصب رئيسة تحرير جريدة الراصد، وأمينة تحرير مجلة الفكر المعاصر الفصلية. وعاشت وتزوجت في بيروت، وأنجبت ابنها الوحيد.

[1] ar.wikipedia.org/wiki/عالية ممدوح (diakses pada 29 Agustus, pukul 12.21)
[2] https://en.wikipedia.org/wiki/Alia_Mamdouh (diakses pada 29 Agustus, pukul 12.24)

كتبت أولى رواياتي عندما كنت صحفية، كنت أجد الكثير من الآفاق للتجارب، من ناحية الحراك اليومي الذي يعطي الكاتب دفعة، إلا أن هذا لا يعني أنه يمنحه الإلهام.

فالصحافة تستهلك الكاتب، لأنها تأخذ مفرداته بشكل يوميّ، والكثير من الأفكار الإبداعية يتم استنزافها من خلال عملية الكتابة اليومية. وأنا لا أزال أكتب أسبوعياً في جريدة الرياض، قراءات نقدية، ولأنني رغبت في نشر هذه المواضيع في كتاب، كنت أحرص على كتابتها بأسلوب صحفي رصين.[٣]

**ب. أعماله**

من العمل في مجال السيكولوجيا النفسية، إلى كتابة الرواية، جسور قطعتها الكاتبة العراقية علياء ممدوح لتدخل بيوت محبي الأدب من بوابة روايات سطرتها شأن حبات النفتالين والغلامة. العبور هو السبيل الذي تجد

[3] http://www.alghulama.com (diakses pada 29 Agustus, pukul 16.27)

فيه علياء طريقاً للانتقال بين مرحلة وأخرى، بين علم النفس والصحافة، وبين الصحافة والأدب، إلا أن هذا العبور لا يكتمل لطالما كان الإنسان حياً، وعن تجربتها حوله تقول عبرت الكثير من الجسور، وما تبقى أنا في طريقي نحوه .باعتقادي حياتنا ليست سوى جسر غير مرئي، يخيل لنا أننا تمكنا من الوصول إلى الضفة المقابلة، إلا أن الحقيقة هي أن كل ضفة تقابلها ضفة أخرى علينا الوصول إليها.

**١. حديث الرواية**

تُعرّف علياء نفسها على أنها كاتبة حسية، وتستشهد على ذلك بأولى رواياتها حبات النفتالين، إذ تقول: حديث الرواية يتم من عيني طفلة عمرها تسع سنوات، تراقب كل منهم حولها، وأجسامهم والتغييرات التي تطرأ عليها .والحسية التي أتحدث عنها هي تعليقات عين رقيب الحواس الخمس، إذ كان لدى هذه الطفلة قدرة على مراقبة كل شيء، وخلال مرورها في سوق البهارات، كانت تقع علينها على أهرامات من

الكمون والفلفل، في لحظات كتابة تلك الكلمات، جاءتني نوبة من العطس، سببها الحسية التي أعتمدها لمراقبة ما هو حولي، وما هو حول أبطال رواياتي.

**٢. آفاق الكتابة**

معادلة الكتابة والحواس ثنائية الجوانب بالنسبة للكاتبة العراقية، إذ تلعب مجموعة من الحواس مجتمعةً دور محفز عملية الإبداع لديها، وتشرح هذه العملية بالقول: «أجلس في الكثير من الأحيان في أماكن عامة، ألمح رجلاً يمشي بطريقة غريبة، أو امرأة تعدل شالها، تناغم الحركة والأصوات والخيال، يمنحني إلهاماً لشخصية في رواية مقبلة، عبر فتح أفق للكتابة أمامي، لذا لا أحب تسمية الإلهام هذا حسياً، وإنما غواية لأنني أتتبع أشخاص الروايات المحتملين رغبةً في معرفة النهاية التي يوصلوني إليها.

لا تولد القصة بسهولة لدى علياء، إلا أنها تعتبر اللقطة الأولى نقطة انطلاق، وتصفها بالقول: هذه الشحنة هي التي تبدأ من خلالها قصتي، ما هي إلا انفجار يولد مجموعة من الشظايا في مختلف الأماكن، شأن الدماغ أو شخصيات أخرى .ما أقوم بتجميعه هو الفولطية التي تتولد عن هذا الانفجار فتتولد بقية روابط البطل في الرواية، شأن الحبيب أو الابن، الأسرة بأجمعها أو الوطن وما إلى ذلك. لا أؤمن بفكرة الإلهام، مع أني أحترمه، قد يراه الآخرين فيّ، إلا أنني لا أبحث عنه لأنني أعمل وأكتب في كل لحظة من لحظات حياتي العادية، دماغي تقوم بتسجيل التفاصيل التي تمر حولي، هي عملية كتابة من غير كتابة، بإمكان من يشاء أن يسميها إلهاماً.

ليس لدى علياء طقوساً غريبة تمارسها خلال انكبابها على عملية الكتابة، باستثناء ما يتعلق بالطعام، وتقول: «لا أتمكن من الكتابة إذا كنت جائعة أو متخمة، علي أن أتناول الطعام بطريقة معتدلة .وأفضل

دائماً العودة إلى الأماكن ذاتها أثناء العمل على رواية ما، أي أنني لا أشعر بالراحة في الأماكن الجديدة، شأن المقاهي أو الفنادق، ولكن لا مانع لدي من تدوين الملاحظات أثناء التنقل .إلا أن منزلي في باريس الذي أشبهه بالكشتبان، هو البيئة الخاصة بي التي تشعرني بالراحة بهدف الكتابة .الشيء الغريب الوحيد الذي أقوم به هو التعطر، إذ أنني أستخدم العطر بغاية إغواء أبطال رواياتي أياً كان جنسهم ليكونوا حاضرين بين يدي أثناء الكتابة.

**٣. قدوة مفقودة**

لا تحدد ممدوح كاتباً أو كتاباً كان لهم عليها التأثير الأساسي الذي دفعها إلى هذا العالم الخيالي من الأدب، ولكنها لم تتعود أن تنكر الفضل، فتقول: «علني لم أجد القدوة في كاتب ما، إلا أنني لا أنكر تأثري بكل كتاب قرأته، وبالنسبة للأدباء، فالوحيد الذي أعشق نتاجه كاملاً هو شكسبير .وبالنسبة لكل الكتاب العرب، فتعجبني بعض كتبهم، هي التي تجد طريقها إلى قلبي، ولكنني لا أحب أن أذكر أسماء

هذه الكتب. لطالما انتقدت علياء الكتاب العرب، معتبرة أنهم يخضعون لسلطة القارئ الذي لا يمكنه إلا أن يكون مستبداً، وتضيف: «ألوم على الكتاب العرب أن أغلبهم يكتب ما يشاء القارئ، الذي أعتبره مستبداً أي من أكثر حاكم، لأنه يريد إعادة إنتاج الواقع.

والسبب في هذا الاستبداد أنه لم يعتد أن يحيد عن الخط، لأنه قد يقع بكل بساطة، فأي كتابة صادمة تسبب له تهديداً .أنا الكاتبة الأقل مبيعاً في العالم العربي، لأن كتبي تباع ببطء، إلا أنها تباع باستمرار، وتطلب من قبل دور النشر وتتم ترجمتها إلى لغات عدة، إلا أنني مدركة أن القارئ لا يحب الاستفزاز، وهذا ما يجده فيّ، ما يدفعني إلى الطلب من القارئ أن يسمعني، أن يبتعد طريقاً عن الطريق الذي يسير فيه، ويصل إلي ليطلع على ما أقدمه، وإذا لم يعجبه، فبإمكانه التخلص منه.

**٤. أفلام بصيغة روائية**

لا تجد علياء أي مشكلة في تحويل رواياتها إلى أفلام، وتعتقد أن لدى أي سينمائي يختار أنيبني فيلمه على رواية، مطلق الحرية في التغيير كما شاء من دون الرجوع إلى القارئ، وتقول: أنا معجبة بالكثير من الأفلام المبنية على الروايات، وإذا تم اتخاذ روايتي يوماً لبناء فيلم عليها، فلن أتدخل إطلاقاً في عمليات الإنتاج، كما أنني أريد أن أشاهد شيئاً جديداً ومختلفاً كأي مشاهد يقصد دارالسينما ليحضر الفيلم.[٤]

صدر لها مجموعتان قصصيتان وخمس روايات هي:

**١) ليلى والذئب ١٩٨١**

كانت هناك فتاة صغيرة ترتدي رداء أحمر اللون على الدوام ، ولهذا السبب كان الجميع يلقبها بالفتاة ذات الرداء الأحمر ، وكان اسمها ليلى ، وذات يوم طلبت منها والدتها أن تأخذ سلة بها كعك وأعشاب طبية لجدتها المريضة. وافقت ليلى وأمسكت بالسلة وأحكمت وضع القبعة على رأسها ، ثم انطلقت ورغم أن والدتها أوصتها بأن لا تسلك

[4] https://www.albayan.ae (diakses pada 29 Agustus, pukul 19.03)

طريق الغابة المخيف ، إلا إنها لم تنتبه لكلام والدتها ، وسارت في الغابة تغني وتجمع الزهور الملونة لجدتها المريضة.

وفجأة سمعت أصوات غريبة قادمة من خلف الأشجار ، وإذ به ذئب كبير الحجم يقفز أمامها ، فارتعدت الفتاة الصغيرة وخافت كثيرًا لرؤيتها الذئب ، فسقطت السلة من يدها على الأرض، فهجم الذئب على السلة ، وبدأ يجمع الكعك الذي ينتثر على الأرض. ثم أعاد لها السلة بهدوء ، فتقدمت ليلى وأمسكت بالسلة وشكرته ، ثم سألها الذئب عن المكان الذي تقصده ، فأخبرته بأنها ستذهب لزيارة جدتها المريضة التي تعيش في نهاية الغابة ، وفي تلك اللحظة سمعا الذئب وليلى صوت بندقية صياد بالقرب منهما ، فهرب الذئب على الفور.

وتلفتت ليلى يمينًا ويسارًا حتى تعرف طريقها، ولكن أدركت إنها ضلت طريقها، فجلست تبكي، وسمع الصياد صوت بكاء الفتاة ذات الرداء الأحمر، واتجه نحوها وسألها عن سبب جلوسها وحيدة في الغابة الخطيرة، بل وأخبرها بوجود ذئب متوحش داخل الغابة، يحاول صيده.

وفي تلك اللحظة شعرت ليلى بأسف شديد لأنها لم تستمع لنصيحة والدتها وحادت عن طريقها، وأخبرت الصياد إنها ذاهبة لزيارة جدتها المريضة، فرافقها الصياد إلى منزل جدتها، وكان في ذلك الأثناء قد اتبع الذئب طريقًا مختصرًا لكي يصل بسرعة إلى منزل الجدة. وما إن وصل الذئب إلى منزل الجدة، حتى طرق الباب وغير صوته، وأخبر الجدة بأنه ليلى وقد أحضرت لها كعك وأعشاب طبية، فسمحت له الجدة بالدخول، وبعد قليل وصلت ليلى إلى المنزل، وعاد الصياد إلى الغابة.

طرقت ليلى الباب فسمعت صوت يدعوها للدخول، لكن ترددت ليلى كثيرًا، لأن الصوت الذي سمعته لا يشبه صوت جدتها، لكنها ظنت أن صوت جدتها تغير بسبب مرضها ، فدخلت ليلى إلى المنزل. وكان الذئب قد ارتدى ثياب جدتها ونظارتها ووشاحها وتمدد في فراشها، وأغلق الذئب الستائر حتى تكون الغرفة مظلمة وتصعب الرؤية، وطلب الذئب من ليلى أن تقترب منه، فتقدمت ليلى، لكنها لاحظت أن جدتها تغير شكلها عن قبل.

فسألتها ليلى عن سبب طول يديها، فأخبرتها الجدة بأن ذلك يمكنها من معانقتها جيدًا، ثم سألتها عن سبب كبر حجم أذناها، فأخبرتها الجدة بأن ذلك يسمح لها بسماعها جيدًا، كما لاحظت ليلى أن الجدة أصبحت ذات عيون كبيرة وأسنان حادة. وفجأة نهض الذئب من الفراش، وهجم على الفتاة، فأدركت الفتاة أن الذئب الذي صادفته في الغابة هو من كان على الفراش وليس جدتها، فصرخت الفتاة تطلب المساعدة، فسمع الصياد صوت ليلى.

فأتجه الصياد مسرعًا نحو منزل الجدة، ووجد الذئب يحاول الهجوم عليها، فأمسك بالذئب وشق بطنه، وخرجت الجدة وأنقذها فشكرته ليلى، وأوصاها بأن تتبع نصيحة والدتها ولا تهملها أبدًا وعادت ليلى إلى منزلها.[٥]

**٢) حبات النفتالين ٢٠٠٠**

سبق لرواية عالية ممدوح "الرغبة" أن ترجمت إلى ست لغات. أما المنفى في نظرها فهو أكسبها أفقاً آخر في الكتابة وفي وضعها كامرأة

[5] https://www.qssas.com/story (Diakses pada 29 Agustus, pukul 20.03)

عراقية: "يهمني العراق بثقافته الكبيرة وبتاريخه. عندما غادرت الوطن بدأ في داخلي وطن آخر. المنفى مكنني من رؤية ما يحدث في العراق عن بعد". تعتقد عالية أن جيلها أدى ثمناً باهظاً من أجل الحرية، وبفضل هذه التضحية ستؤدي النساء الشابات ثمناً أقل بكثير. "لم يكن بمستطاعي أن أجمع بين كل الاشياء، في الفترة التي عشت فيها شبابي كان مستحيلاً الجمع بين الحرية والحب. هكذا فقدت عائلتي". اختارت ممدوح باريس كملاذ شخصي وكمنفى في الآن نفسه: "على رغم أن المنطقي كان أن أذهب إلى لندن، لأن إبني يعيش هناك، لكنه سيفضل أن يجعلني تحت عنايته."

تعترف عالية أن موضوع الرواية أغرى كاتبات عربيات كثيرات بالخوض فيه: "عانينا طويلاً، ومن حقنا أن نكتب قليلاً حول حياتنا. إن الأمر أشبه ما يكون بالصراخ". استطاعت عالية أن تتحكم في خوفها: "الخوف من الآخر الذي نحمله في الداخل. قبل أن أواجه زوجي، النظام، المجتمع، كان علي أن أبحث عن مواطن الخوف فيّ، أن أفهم لماذا أشعر بكل هذا الخوف، ثم أن أقطعه من جذوره."

تستطيع البطلة "هدى"، التي تشبه الفتى، أن تتغلب على الخوف: "كان أبي الشرطي الأول الذي كان علي مواجهته، كان يمثل السلطة الشرعية للنظام، جنون الأب في نهاية الرواية يعكس جنون النظام المبني على تكريس الخوف والخنوع، لأن مجتمعاً يحطم المرأة مصيره أن يصاب بالجنون في آخر المطاف" تقول عالية .وفي بيروت أصدرت دار الآداب طبعة جديدة من رواية "حبات النفتالين" وحمل الغلاف لوحة للفنان شاكر الألوسي .وقدّم الناشر الرواية قائلاً: "للحياة العراقية في هذه الرواية مذاقها الخاص: بين "أعظمية" بغداد القديمة و"كربلاء" الحسين، وما بين الأربعينات والخمسينات من هذا العصر المزدحم بالتغير وبأنواع الاضمحلال والنمو.

وللغة المؤلفة العراقية خصوصيتها، التي تفرض إحساساً بأنها طالعة من هواء الأعظمية ذاته ومن تراب مساجدها وأحواشها ومن لسان البطلة/ الراوية. الطفلة ثم المراهقة، ولكنها التي تحكي الآن أشياء حفظتها في صندوق الذاكرة، كأنما صانتها من الاندثار ومن آفات النسيان والخلط. "حبات النفتالين" هي رواية، إذاً، عن "الحقائق

القديمة" في أعناق انسانية بغداد العتيقة والمعاصرة، ولكنها أيضاً رواية تحكيها ذاكرة "أنثى" عربية من الأعظمية، اصطدمت منذ الطفولة بالوضع الذي فرضه عليها وعلى بنات جنسها تراث قديم بكل ما فيه من حكمة وطلاوة وحنان، أو قبح وقسوة واختلال[٦]."

**٣) الغلامة ٢٠٠٠**

**٤) الولع ١٩٩٥**

**٥) المحبوبات ٢٠٠٣**

**٦) التشهي ٢٠٠٠**

[6] http://www.alhayat.com/article/ (Diakses pada 29 Agustus, pukul 20.47)